الطب الشعبي
مهنة عائلية متوارثة في مدينة الموصل
(دراسة انثروبولوجية)

م. عبد الرزاق صالح محمود*

تاريخ استلام البحث ٢٠١١/١٢/١٨ **تاريخ قبول النشر** ٢٠١٢/١/٢٥

ملخص البحث:

يسعى البحث إلى التركيز على العوائل المعروفة في مجال ممارستها للعلاج الشعبي على المستوى المحلي لمجتمع مدينة الموصل، ويهدف للتوصل إلى أهم الأسباب التي تقف وراء تمسك العوائل المعروفة بالطب الشعبي كمهنة حتى الآن من وجهة نظر أفراد هذه العوائل "المعالِجين"، وقد اعتمد الباحث على المنهج الانثروبولوجي ومنهج دراسة الحالة كمناهج أساسية في الوصول إلى نتائج البحث، وقد كانت عينة البحث قصدية تكونت من ثمان حالات فردية تحمل الخصائص العامة والاجتماعية لمجتمع البحث، وقد استخدم الباحث المقابلة كأداة رئيسة للحصول على بعض البيانات والمعلومات الخاصة بمجتمع البحث، واعتمد كذلك على الإخباريين من المعمرين للحصول على معلومات تراثية قديمة فيما يخص مجتمع البحث، وقد أعد الباحث ورقة أسئلة تتضمن مجموعة من التساؤلات الخاصة بالمجال الميداني للبحث، فضلاً عن استخدامه الملاحظة البسيطة والملاحظة بالمشاركة في بحثه.

وقد توصل البحث إلى أن العديد من المعالِجين بالطب الشعبي يحاولون الحفاظ على ما توارثوه من آبائهم وأجدادهم في هذا المجال بحثاً عن الشهرة

* مدرس/ مركز دراسات الموصل/ جامعة الموصل.

والسمعة، ومنهم من استمر عليها لكونها مصدر رزقه الوحيد، فضلاً عن تعلق الأمر بمضامين دينية واجتماعية وثقافية واقتصادية أخرى .

The Traditional Medicine-Familiar Inherited Career in Mosul City (An Anthropological Study)

Lect. Abdel Razzak Salih Mahmood

Abstract:

This research try to focus on some families who practicing The traditional medicine on the local level in Mosul .It aims at determining the causes which stand behind adherence of some Mosuli families to their careers by relying on their opinions. The researcher depends upon an anthropological and case-study methods as principal means and his sample was deliberated involved eight individual cases containing the general social characteristicses. The researcher also relied on an interview as a main way to collecting some information and data about the society under the discussion , In addition to collecting information from the old concerning the investigated society. As a matter of fact, the researcher distributed questionnaire in field study as well as his uses of simple and complex observations.

The research reached the fact that there are in Mosul some traditional medicine doctors who attempting to continue their careers which they inherited from their fathers and antecedents for a lot of reasons such as gaining money, fame or they concerning these careers as a social, economical, cultural and religious practices.

المقدمة:-

تعد مهنة الطب الشعبي من المهن القديمة التي بدأت مع بدايات بحث الإنسان عن العلاج للآلام والأوجاع التي تضنيه وتؤلمه ومحاولة الشفاء منها، واستمرت بأنواعها المختلفة عبر الأجيال والمجتمعات لتصل إلينا بشكلها الشعبي العلاجي الموجود في مجتمعاتنا في الوقت الحاضر، وكان يقف خلف هذا الاستمرار بالتأكيد

مجموعة من الاسباب وإلا لماذا استمرت هذه المهنة؟ ولماذا يتمسك المعالجين بهذه الطريقة العلاجية التقليدية حتى الآن؟ ولماذا يذهب الناس إلى المعالج الشعبي مع وصول الطب الحديث إلى ما وصل إليه اليوم من تقدمٍ وتطورٍ في المجال الصحي من مستشفيات وما يلحق بها من عياداتٍ ومشافٍ ومختبراتٍ ومعداتٍ وطاقاتٍ بشرية؟ ولكن الأمر كما يبدو هو أن البعض يتمسك بهذه المهنة على أنها اعتزاز بما ورثه آبائه وأجداده، وآخرون يمتهنونها لمردودها المالي الجيد، وآخرون يعدوها مجرد بحثٍ عن الشهرة في هذا المجال، وبعض المعالجين ينظر إلى الطرائق العلاجية الشعبية على أنها جزءٌ من السنة النبوية الشريفة كالمعالجين بالحِجامة مثلاً فضلاً عن العديد من التفسيرات التي تقف خلف تمسك المعالجين الشعبيين بالظاهرة موضوع البحث.

وفي بحثنا هذا سيكون التركيز على بعض العوائل الممتهنة للطب الشعبي في المجتمع والتي عُرفت بهذه المهنة لعدها مهنة متوارثة تناقلتها عبر أجيالها منذ فترةٍ طويلةٍ من الزمن وحتى يومنا هذا، ومن هذه العوائل مثلاً بيت سيد توحي المعروفين بـ(علاج المخبث) وبيت سيد حامد لـ(علاج الحروق) وبيت سيد ساري لـ(علاج عرق النسا)، ويتكون البحث من خمسة مباحث، اقتصر الأول منها على تحديد مشكلة البحث وأهميته وأهدافه وتحديد مصطلحات البحث ومفاهيمه، بينما تناول المبحث الثاني الأهمية الثقافية والاجتماعية للعلاج الشعبي في المجتمعات الإنسانية، أما المبحث الثالث فقد تضمن الجانب الميداني للبحث والذي يضم مناهج البحث (المنهج الانثروبولوجي ومنهج دراسة الحالة) وعينته وأدواته ومجالاته، وقد اختص المبحث الخامس من البحث على دراسة وتسجيل بعض الحالات الفردية للعوائل المتوارثة للطب الشعبي في مدينة الموصل، في حين يبين المبحث الخامس الاستنتاجات والتوصيات، وأخيراً المصادر والمراجع.

المبحث الأول:- الإطار العام للبحث:-

أولاً:- تحديد مشكلة البحث:-

تتنوع وتتعدد المهن في المجتمعات الإنسانية بحسب طبيعة الأفراد في المجتمع وبحسب الإمكانيات المادية والفنية المتاحة وبحسب حاجة المجتمع لضرورة وجودها أم لا ...، وهناك من المهن ما تندثر ومنها ما تستمر وتنتشر وبطبيعة الحال يتوقف ذلك على سببٍ أو مجموعة أسباب تسهم في ذلك.

إن من المهن ما هي جديدة أفرزتها لنا تطورات الحياة وتعقيداتها عند دخول الحياة في المجتمعات الإنسانية إلى مرحلة التخصص، ومنها ما هو قديم وإن كانت تطورت وأخذت منحىً أكثر تخصصاً ودقة ولكنها قديمة بوصفها ضرورة يلزم وجودها ومنها مثلاً "الطب-موضوع البحث" الذي ظهر بأشكاله البدائية الأولى البسيطة للحفاظ على حياة الإنسان ومواجهة المرض كتحدٍ أفرزته البيئة وإن كانت الأشكال البدائية اعتمدت على الموافقة والتكرار والتجربة والمعابد والكنائس واختلاط العلاج الشعبي بالدين مرةً وبالسحر مرةً أخرى إلا أن الإنسان سخر كل ما لديه من إمكانياتٍ لتطويرها والحفاظ على النوع الإنساني، فوصل إلينا الطب ليستقر في مجتمعاتنا بشكلين، أحدهما علمي حديث يعتمد على كل ما هو متاح من إمكانيات علمية مادية ومعنوية متاحة، وآخر شعبي تعارف عليه الناس بالتجربة ومن التراث الشعبي على أنه مجموعة من الممارسات والأساليب المادية والمعتقدات التي تشفي أو تساعد في شفاء المرضى مستخدمةً المتوافر المحلي من الأعشاب الطبيعية ومرتبطةً بالجوانب الروحية والثقافية للمجتمع وبالتأكيد فإن لكل طبٍ رواده وممارسيه، وهناك من برزوا في هذا المجال بل هناك من تناقلوا الظاهرة على أنها مهنة متوارثة عن الآباء والأجداد وإرث ثقافي واجتماعي يجب الحفاظ عليه.

وتركيزنا في بحثنا هذا سيكون على الطب الشعبي الذي لا يزال الناس يرتادونه للعلاج ولا زالت هناك عوائل تمارس هذا النوع من الطب وتتمسك به نقلاً

عن من سبقهم ممن برعوا وابدعوا في هذا المجال فاصبحوا يذكرون على كل لسان وأمسوا وقد ذاع صيتهم على مستوى مجتمعهم المحلي فأراد من تَبعَهم وخَلَفَهم أن يستمروا على ما وجدوه من إرثٍ ثقافي واجتماعي وتجددت لديهم الرغبة بالاستمرار بل وأرادوا أن يحافظ أبنائهم وأحفادهم على هذه المهنة ولم يكن العلاج ليقتصر على الذكور بل شمل الإناث أيضاً بوجود معالجات تعلمن هذه المهنة وأتقنن العمل فيها فتجاوز عدد المعالجين إلى أكثر من شخصٍ واحدٍ في العائلة ومن المؤكد أن هناك مجموعة من الأسباب التي وقفت خلف هذا الاستمرار في المهنة والرغبة في الحفاظ عليها سنوضحها بصورة أكثر تفصيلاً في الجانب الميداني من البحث.

ثانياً:- أهمية البحث:-

١- إن ممارسة الطب الشعبي قديمة ظهرت مع بداية وجود الإنسان بطريقةٍ أو بأخرى سواءً بالصدفة والتكرار والموافقة أو بالتجربة أو ما شابه ذلك، وقد استمرت حتى يومنا هذا على أيدي أناسٍ مهتمين بهذا الجانب من العمل العلاجي فهي تمثل الأصل في الطب سواءً كانت صحيحة أم خاطئة.

٢- تمسك عدد من المعالجين بالطب الشعبي بممارسة هذه المهنة لعدهم إياها نوعاً من الإرث الثقافي والاجتماعي الذي تركه لهم الأجداد والآباء من السابقين الذين عملوا على هذا المجال، في حين أن هناك العديد من هؤلاء يتمسكون بهذه المهنة من أجل الربح والفائدة ومنهم من بحث عن الشهرة فضلاً عن ارتباط عمل البعض منهم بالأعمال السحرية.

٣- بقاء طرائق العلاج الشعبي في المجتمع واستمرارها وذهاب الناس إلى المعالجين الشعبيين مع العلم بوجود المستشفيات والمراكز الصحية فضلاً عن التطور والتقدم العلمي والتكنولوجي في الجانب الصحي والمتمثل بالمختبرات والأجهزة والأدوات المستخدمة في إجراء العمليات الجراحية والفحوصات الطبية وما إلى ذلك من متعلقات الجانب الصحي.

٤- الإقبال الشديد للمجتمع على هذا النمط من العلاج، والتطور الحاصل فيه، والنتائج المتحققة منه واقعياً وعملياً.

ثالثاً:- أهداف البحث:- يهدف البحث إلى ما يأتي:-

١- تحديد عدد من العوائل المعروفة في المجتمع الموصلي في مجال الممارسة العلاجية الشعبية بأشكالها المتنوعة.

٢- محاول تشخيص الأسباب التي تقف وراء تمسك العوائل المعروفة بالطب الشعبي بهذه المهنة منذ القِدم وحتى الآن من وجهة نظر أفراد هذه العوائل "المعالجين".

رابعاً:- تحديد مصطلحات البحث ومفاهيمه:-

الطب الشعبي:-

يعرّف الطب الشعبي بأنه جميع الأفكار ووجهات النظر التقليدية حول المرض والعلاج وما يتصل بذلك من ممارسات تتعلق بالوقاية من المرض ومعالجته بصرف النظر عن النسق الرسمي للطب العلمي أو الحديث(١).

كما يمكن تعريف الطب الشعبي بأنه مجموعة الممارسات والأساليب المادية والمعتقدات التي تعارف عليها الناس بالتجربة ومن التراث الشعبي على أنها تشفي أو تساعد في شفاء المرضى مستخدمة المتوافر المحلي من الأعشاب الطبيعية ومرتبطة بالجوانب الروحية والثقافية(٢).

ويعرف الطب الشعبي أيضاً بأنه مجموعة من العلاجات، تكمن خلفها تجارب ومعارف الشعوب، استطاعت أن تحافظ على مكانها على الرغم من الاكتشافات الطبية الحديثة(٣).

إذن فالطب الشعبي يعتمد على خزين متوارث من التجارب والأفكار المتراكمة في مجال الصحة والمرض، كما يعد جزءً من المعتقدات الاجتماعية الشعبية المتوارثة التي يتمسك بها أفراد المجتمع ويعتمدون عليها في علاج أمراضهم(٤).

المهنة:-

تعرف المهنة بأنها مجموعة النشاطات والفعاليات والواجبات التي يمارسها الفرد ويقدمها للمجتمع لقاء أجرٍ أو راتبٍ معين[٥]، وتُعَرَّف كذلك بأنها مجموعة من الأعمال التي تتطلب مهارات معينة يؤديها الفرد من خلال ممارساتٍ تدريبية[٦]، فالمهنة مبنية على أساسٍ من العلم والخبرة واختيرت اختياراً مناسباً حسب مجال العمل الخاص بها وتحكمها قوانين وآداب خاصة لتنظيم العمل بها[٧].

التعاريف الإجرائية للبحث:-

الطب الشعبي: هو مجموعة من طرائق العلاج الشعبي التي تعارف الناس عليها قديماً في علاج حالاتهم المرضية بأنواعها، ولا تزال مستمرة يتداوى بها الناس في الوقت الحاضر.

المهنة: هي أي عملٍ يقوم به الفرد يعود بالنفع له ولأسرته ولمجتمعه بصورة عامة، ويكون لهذا العمل عادةً مردود اقتصادي، ومن المهن ما تكون متوارثة تناقلها الأبناء عن الآباء والأجداد.

المبحث الثاني:- الإطار الحضاري والاجتماعي للعلاج الشعبي في المجتمعات الإنسانية:-

عرف الطب بصورةٍ عامة علماء ومختصين في المجال العلاجي وشهد إبداعاتٍ لهم في الميدان الصحي، فكانوا على قدرٍ من المسؤولية العلاجية التي تعد صحة الإنسان همها الأول والأساس فكان الطب ممثلاً بهم في جانبيه العلمي "الحديث" والتقليدي "الشعبي" وكان لكل جانبٍ من جانبي الطب أسسه وقواعده ووسائله العلاجية[٨]، فالطب الحديث بمستشفياته وأطبائه واكتشافاته ودراساته وأدواته ووسائله المتطورة في ظل التطور التكنولوجي الذي وصلت إليه المجتمعات في الوقت الحاضر له وزنه وثقله في الميدان العلاجي ودوره في الحفاظ على حياة الإنسان[٩]، بالمقابل لا يمكننا إغفال ما للطب الشعبي من دورٍ فعال سواءً لكونه مَثَّلَ الشكل الأول

لطبٍ أوجدته الحياة البدائية التي عاشتها بعض المجتمعات[١٠]، أو لكونه يعالج بعض الحالات المرضية التي يستعصى علاجها بالطب الحديث[١١]، ولكن على وجه العموم حقيقة الطب هو أنه مَرَّ بحقبٍ ومراحل زمنية لكلٍ منها أهميتها ودورها في الحفاظ على صحة الإنسان والنوع الإنساني[١٢].

ومن الأطباء من كان معروفاً بحذاقته وفهمه في الأمور العلاجية سواءً على مستوى الطب الحديث أو الشعبي[١٣]، فمنهم من كان معروفاً على مستوى شخصه هو في المجال الطبي في معالجة المرضى ومنهم من اكتسب شهرته عن طريق عائلته التي عُرفت على امتداد نسلها وأفرادها بممارستها للطب[١٤]، وعلى المستوى المحلي لمدينة الموصل "مجتمع البحث" برز أطباء كثيرون[١٥] في المجال العلاجي منهم من لم يُوَّرث مهنته ومعلوماته في المجال الطبي لأحدٍ من عائلته[١٦] ومنهم من عرفه المجتمع لأن عائلته معروفة في مجال علاج الأمراض وقد اكتسب شهرته منها[١٧]، وهذه الشهرة في المجال الطبي كما ذكرنا سالفاً على المستوى الطبي العلمي الحديث والتقليدي الشعبي، ونحن في بحثنا هذا في صدد دراسة جانبٍ واحدٍ من الطب ألا وهو الطب الشعبي "موضوع البحث" الذي عرف المجتمع من خلاله مسميات لعوائل اشتهرت بعلاجها لمرضٍ ما أو إصابةٍ معينة، وعرف كذلك أشكالاً من الممارسات والعلاجات المادية والمعنوية "النفسية" وإن كان بعضها يدخل ضمن إطار الإيمان بالخرافات والخزعبلات[١٨].

- العلاج الشعبي مهنة الآباء والأجداد وتجاربهم ومعتقداتهم المتوارثة:-

إن ممارسة الطب لم تكن حكراً على أطباء الطب الحديث أو الصيادلة ولم تكن محصورة في المستشفيات والمراكز الصحية إنما هناك أصنافٌ من المعالجين يمارسون نوعاً من الطب الذي ينطوي تحت تسمية (شعبي أو تكميلي أو بديل)[١٩] توارثه المعالِجون من أجدادهم وآبائهم وأمهاتهم وتناقلوه عبر أجيالهم[٢٠] بأشكاله وأنواعه المختلفة إذ أن لكل نوع من هذا الطب "الشعبي" كيانه الخاص ووسائله

وأساليبه الخاصة به والتي تناقلها الخلف عن السلف حفاظاً على شهرة العائلة المعروفة بمعالجتها لهذا النوع من المرض وتمسكاً منهم بما تركه لهم من سبقهم في هذا المجال على أنه (تسلومة)[٢١] يجب المحافظة عليها بل ومن الضرورة تسليمها لأجيالهم اللاحقة.

ولعل ظاهرة الطب الشعبي بأبسط أشكالها أوجدت لنفسها مكاناً في ظل حاجة الفرد والمجتمع إليها معتمدةً على بساطة تفكير الإنسان في تلك المراحل من حياته، إلا أن وصولها إلى مرحلة المعالجة الشعبية الاحترافية[٢٢] بدأت على أيدي معالجين محترفين قطعوا في الميدان الطبي شوطاً طويلاً وتعرفوا على جميع أشكال الممارسات العلاجية وأتقنوها، وكانوا قد تلقوا مهاراتهم وتوارثوها عن آبائهم وأجدادهم وعن السابقين لهم من المعالجين، أو عن البيئة التي عاشوا فيها[٢٣]، أو عن الكتب والملفات الطبية[٢٤]، أو عن طريق المحاولة والخطأ وتكرار التجارب في هذا الميدان[٢٥]، وبذلك تراكمت لديهم خبرة كبيرة في ميدان الممارسة الشعبية العلاجية، وقد يتخصص المعالج المحترف في مجال معين أو قد لا يقتصر على تخصص واحد وهذا يكون تبعاً لمعرفته وكفاءته.

– من يمارس العلاج الشعبي، ومن يستخدمه، ولماذا؟

إن ممارسة العلاج الشعبي تقتصر على طبيعة العملية العلاجية وبساطتها أو تعقيدها وما تتطلبه من جرأةٍ ومعرفةٍ ودرايةٍ في مجال التطبيب، وعلى الرغم من أن المعالِجين في مجال العلاج الشعبي "ومنها مثلاً التداوي بالأعشاب" لم يتلقوا تدريباً مؤسسياً ولم يحصلوا على مؤهلات إلا أنهم اكتسبوا مهارة التشخيص المحدودة ومعرفة المعالجة خلال سنوات من التلمذة والتعلم على يد الجد أو الأب أو المعلم أو من وصفات نصح بها أناسٌ غير مدربين وحدث أن شعروا بالتعافي لدى استخدامهم لدواءٍ معين فنقلوا نبأ ذلك إلى آخرين[٢٦] فضلاً عن قراءتهم للكتب والملفات الطبية

التي أسلفنا ذكرها، فأصبح للمعالِجين الشعبيين المركز الهام والتأثير القوي ليتركوا دورهم الفاعل في الرعاية الصحية للفرد والمجتمع(٢٧).

ولعل أكثر ما يدفع الأفراد المعالِجين للتمسك بممارسة العلاج الشعبي هو الحفاظ على ما توارثوه ممن سبقوهم كما ذكرنا، وَعَدِّهِ "أي: العلاج الشعبي" المهنة الأساس التي تمثل الدخل الرئيس لدى البعض بل أنها تمثل مصدر دخله الوحيد(٢٨) فضلاً عن أن البعض يمارسون الطب الشعبي لكونهم أبدعوا في هذا المجال دون غيره(٢٩)، ناهيك عن أن بعض المعالجين ينظرون إلى بعض طرائق العلاج الشعبي "كالحِجامة والعزامة مثلاً" على أنها مستمدة من القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة ويتمسكون بها من أجل الأجر والثواب(٣٠)، ومن الجدير بالذكر أن هناك من المعالِجين من يسعى إلى استغلال الناس والبحث عن الربح والكسب المادي بأي طريقة وإن كانت تدخل ضمن إطار الدجل والشعوذة واستغلال الآخرين(٣١).

أما بالنسبة لمن يستخدم الطب الشعبي ويرتاده للحصول على فرصة علاجية فإن الأمر لم يقتصر على ذوي العقليات الريفية والعقليات البسيطة بل أنه شمل المتعلمين والمتعلمات فضلاً عن العَوَام من الناس(٣٢)، ولم يقتصر كذلك على الفقراء لرخص أسعار معظم العلاجات الشعبية(٣٣) بل شمل الأغنياء وذوي الدخول المرتفعة وشمل الرجال والنساء معاً فلم يكن حكراً على فئةٍ دون أخرى(٣٤)، فضلاً عن ما تقدم ذكره، فإن ممن يتعالجون بالطب الشعبي وتحديداً أحد طرائقه "الروحية" ينظرون إليه على أنه طب الأنبياء(٣٥) وأنه يستطيع التعامل مع مسائل الحسد والسحر والعين(٣٦) وإن كانت بعض الممارسات تدخل ضمن إطار الدجل والشعوذة واستغلال الناس كما أشرنا لذلك مسبقاً، ولا بد من أن نشير إلى وجوب خضوع بعض الممارسات العلاجية الشعبية للرقابة والتقنين "غربلة الممارسات العلاجية الشعبية الخاطئة" والاختبار من قِبَل هيئات طبية تضم أطباء وخبراء في أمور الطب فضلاً عن ما

تعلمه المعالجين الشعبيين لاننا في نهاية الامر نتعامل مع صحة الفرد والمجتمع ولعلها أغلى ما يملك الإنسان.

المبحث الثالث:- الإطار المنهجي وإجراءات البحث:-

١- منهج البحث:- استخدم الباحث المنهج الانثروبولوجي بوسائله وآلياته المختلفة من ملاحظات ومشاهدات ومقابلات وجولات ميدانية بنزوله إلى ميدان الدراسة والبحث في سعيه للحصول على نتائج مباشِرة من خلال احتكاكه بالمجتمع المدروس، واستخدم منهج دراسة الحالة كمنهج أساسي لأهميته المباشرة في الوصول إلى المبتغى العلمي للبحث وللحصول على نتائج ترتبط ارتباطاً مباشراً بأهداف البحث من خلال الحالات الفردية التي تحمل الخصائص العامة والاجتماعية لمجتمع البحث.

٢- عينة البحث:- كانت عينة البحث قصدية منتظمة، فقد استخدم الباحث ثمان حالات فردية بصورة قصدية ومباشرة للوقوف على الهدف العلمي للبحث.

٣- أدوات البحث:-

أ- المقابلة: كانت المقابلة أداة البحث الأساسية والرئيسة فقد قابل الباحث (٨) مبحوثين وذلك تبعاً لخطة البحث العلمية وكانت جميع المقابلات فردية وغير مقننة[٣٧] بحيث تترك نوعاً من المرونة وتعطي حرية أكثر للمبحوث في التعبير عن رأيه وعن أفكاره وبالتالي تكون أكثر صدقاً وجدية.

ب- الملاحظة: اتبع الباحث الملاحظة البسيطة والملاحظة بالمشاركة من خلال الزيارات الميدانية لبعض العوائل المعروفة بالطب الشعبي والمشهورة ضمن هذا المجال العلاجي الشعبي.

ج- أدوات أخرى:- فضلاً عن ما تقدم ذكره من أدواتٍ مستخدمة في البحث فقد قام الباحث بإعداد ورقة أسئلة تضمنت مجموعة أسئلة تخص الجانب الميداني من البحث ليجيب عليها المبحوثين الذين اختيروا ليمثلوا عينة البحث، واعتمد كذلك على الإخباريين من أهالي مناطق المعالجين وبعض المعمرين ممن لهم معرفة وعلاقة

بالفرد المدروس لكي يحصل الباحث من خلال ذلك على معلومات أوضح وأدق مما تسمح به ملاحظته أو مقابلته للمبحوث فقط، الأمر الذي سَهَّلَ على الباحث الحصول على إجابات صريحة وواقعية.

٤- **مجالات البحث:**- انحصر البحث في المجالات الآتية:-

١- **المجال البشري:** انحصر ببعض العوائل المعروفة بممارسة العلاج الشعبي في مجتمع مدينة الموصل.

٢- **المجال المكاني:** كان المجال المكاني هو مدينة الموصل.

٣- **المجال الزمني:** امتدت فترة البحث والدراسة من ٢٠١١/٦/١ ولغاية ٢٠١١/١٢/١.

المبحث الرابع:- دراسة لبعض الحالات الفردية للعوائل المتوارثة للطب الشعبي في مدينة الموصل:-

تنتشر طرائق العلاج الشعبي بأنواعها المختلفة في مدينة الموصل ويستمر الناس بالذهاب إلى المعالِجين بالطب الشعبي حتى يومنا هذا، وهناك العديد من العوائل التي عُرفَت في مجتمع مدينة الموصل على المستوى المحلي بممارستها لنوعٍ معينٍ أو لطريقةٍ معينةٍ بالعلاج الشعبي، ولما كان من الصعوبة حصر عدد المعالِجين بالطب الشعبي ككل اكتفى الباحث بمقابلة عينة من كل نوع تقريباً تحمل خصائص المجتمع المبحوث واكتفى بمقابلة شخصٍ واحدٍ من كل عائلة من العوائل المعروفة بممارستها للطب الشعبي، ومن الجدير بالذكر أن الباحث أهمل بعض الحالات الفردية المدروسة وتجاوزها لأسباب منها، عدم إدلاء المبحوث بآرائه بصورة صادقة وجدية وعدم تعامله بموضوعية مع الباحث في الجانب الميداني للبحث، وتخوف البعض من إعطاء معلومات مُفَصَّلة عن عائلته وعن نفسه وعمله، فضلاً عن عدم تعاون البعض وبصورة قصدية في إعطاء معلومات وبيانات تخص الجانب العملي من البحث، ومما تجدر الإشارة إليه مراجعة الباحث لبعض المعالجين في أماكن عملهم وتعذر مقابلتهم

ومساعدتهم له لعدم تفرغهم لذلك، فقد استقر الأمر على دراسة (٨) حالات من العوائل المعروفة والمشهورة في مدينة الموصل وكلٌ بحسب اختصاصه العلاجي.

١- السيد **أياد الحاج يونس** من مواليد (١٩٦٨)، لديه شهادة دبلوم فني، الحالة المادية جيدة، توارثت عائلته مهنة الصياغة كمهنة أصلية وعمل لجميع أفراد العائلة، كما تناقل أفراد عائلته طريقة علاج الحروق بمادة "شمع العسل".

هذه المادة البرتقالية اللون تتكون من شمع العسل ومادة زيت السمسم وبعض المواد التي يقوم المعالِج بخلطها بمقادير معينة مع إضافة مواد معينة إليها تستعمل في علاج موضع الحرق[٣٨]، وقد قامت إحدى قريبات السيد أياد الحاج يونس "الدكتورة إسراء/ علوم الحياة/ جامعة الموصل" بإجراء دراسة مقارنة بين مادة الشمع العادي وشمع العسل فأثبتت أن المادة الشمعية العادية تمنع نمو البكتريا خلال مدة (٢٤) ساعة، بينما يمنع شمع العسل نمو البكتريا خلال مدة (١٢) ساعة فقط.

تعلم السيد "أياد أبو مصطفى" هذه المهنة من أبيه، وكان أبوه قد تعلمها هو والسيد محمد حامد[٣٩] عام (١٩٤٠) أي قبل (٧١) سنة من امرأةٍ عجوز اكتشفت هذه الطريقة العلاجية أو تعلمتها بطريقةٍ ما ثم نقلتها إليهم لتصل إلى أولادهم وليعملوا بها حتى الوقت الحاضر، يعطي السيد "أياد" المادة الشمعية للمصاب بالحرق بعد مشاهدته له ويملي عليه التعليمات كما أشرنا لمعالجته أي أنه "أياد الحاج يونس" لا يعالج الشخص المحروق بيديه لأنه لا يملك الجرأة للقيام بذلك بحسب إشارته، بينما تعالِج زوجة السيد "أياد" المصابين بالحروق من الأطفال والنساء في بيتها وتغسل منطقة الحرق بيديها وتُعَبِّر عن عملها هذا بأنه خدمة عظيمة تُقَدَم للناس في هذا الميدان العلاجي وأنها تبتغي الأجر والثواب من ذلك، ويشير السيد "أياد" بأنه تعلم هذه المهنة من والده وعلمها لزوجته وهو يرغب وبإصرار أن يتعلمها أولاده وأحفاده ابتغاءً لمرضاة رب العباد والأجر والثواب الذي يأتي من هذا العمل وصدقة جارية على روح والده المتوفى وعلى من عمل بهذا العمل العلاجي، ومع أن هذا العمل العلاجي

للأجر والثواب ولمضامين دينية إلا أن المعالِجين من هذه العائلة لا يريدوا أن يتعلمها شخصٌ غيرهم إلا إذا رغبوا هم بذلك لأنهم يريدون أن يكونوا من يُعرفون من قِبَل المجتمع في هذا المجال دون غيرهم، ولأنهم يعدونها مهنتهم فلا يحق لأحدٍ امتهانها، فضلاً عن أنهم يتحسبون أن يتعلمها أشخاصٌ يستغلون الناس مادياً من خلالها، لذا فقد أصر المعالجون في هذه العائلة وبشدة على أن لا يتعلمها أحد على مستوى المجتمع المحلي باستثناء قيام السيد "أياد" بتعليم هذه المهنة لأحد الأشخاص في شمال العراق بقوله(٤٠) "نعم، تأتي إلينا حالات حرقٍ عديدة على مستوى مجتمع مدينة الموصل، وفي حقيقة الأمر أتى إلينا أشخاص "وإن كانوا قلة" من سوريا ومصر يدعون أن هناك من ذويهم مصابون بالحروق فأعطيتهم من المادة الشمعية العلاجية، وجاءتني العديد من الحالات من شمال العراق مما اضطرني الأمر إلى تعليمها لأحد أقاربي في الشمال لكي يختصر الناس الطريق وبأقل نسبة من الجهد والمال".

ويؤكد المبحوث أنه قام بزيارة معمل الأدوية في الموصل وعرض على مديرها أن يقوم المعمل بتعليب هذه المادة العلاجية وعرضها من ضمن منتوجاته في علب بأحجام متنوعة، ولكنه اشترط أن ا أنه يُصنِّع المادة الشمعية بنفسه دون تعليمها كصنعة لأحد مع العلم بأنه مكلفة جداً وأنها تتطلب وقتاً وجهداً لتصنيعها إلى جانب المال، واشترط كذلك حصوله على (١٠%) من المادة المُصنَّعة لتوزيعها على من يحتاجها بدون أي مقابل مادي لكن مدير المعمل رفض ذلك، ويحلم السيد "أياد" بأن يُطوِّر مهنته العلاجية بقوله(٤١) "أحلم وأرغب كثيراً بأن أقوم بتطوير عمل والدي ومَن عمل معه في هذا المجال، بإنشاء مركز صحي يختص بمعالجة الحروق، ولكن الأمر يتطلب مساعدة على مستوى مؤسسي إذ يحتاج المركز الصحي إلى كادر طبي مختص ومضمدين وموظفين عاملين على هذا المجال، وهذا يتطلب إمكانيات مادية كبيرة".

وشدد المبحوث على دور الطب الحديث في المجتمع بإشارته إلى أن للطب الشعبي تجربته الكبيرة مع كثيرٍ من الناس وتحديداً في مجال "الحروق" والناس في تزايد للإقبال على هذا النوع من العلاج، ولكن يجب على المصابين وذويهم الذهاب إلى المستشفى أولاً لتقدير خطورة الإصابة أو الحرق ففي المستشفى أناس أكاديميون يعرفون كيف يتعاملون مع الحالات المرضية والإصابات والطب الحديث متطور تكنولوجياً بكوادره وأجهزته ووسائله وأساليبه لذلك لا بد من عدم إغفال أهمية هذا الدور، ويؤكد أن هناك من الأطباء من قام بإرسال أناسٍ مصابين بالحروق إليه وأنه قام بعلاجها بإذن الله عز وجل.

٢- السيد **محمد غانم حمدون مصطفى السيد توحي**، عمره (٢٧) سنة، تحصيله العلمي إعدادية، يعمل في إحدى الوظائف الحكومية، حالته المادية متوسطة، ينحدر من بيت السيد توحي[٤٢]، تعلم العزامة والرقية على (المخبث)[٤٣] من أبيه وهي "تسلومة" من الآباء والأجداد انتقلت إلى أغلب أفراد العائلة إن لم نقُل جميعهم، إذ أنها لم تقتصر على شخصٍ معينٍ منهم بل انتشرت على مستوى الأب والأم والأخوة والأعمام والأخوال[٤٤] وتوارثوها منذ (١٠٠) سنة تقريباً بحسب إشارة السيد "محمد" لذلك فالسيد توحي هو الجد الرابع للعائلة، ويذكر المبحوث أن العزامة على "المخبث" في مدينة الموصل مقتصرة على بيت السيد توحي ولا أحد غيرهم في المجتمع يمارس هذا النوع من العلاج الروحي على الرغم من أن العلاج مقتصر على قراءة الآيات القرآنية من القرآن الكريم إلا أن الأمر كما ذكرنا "تسلومة" عبر أجيال عائلة السيد توحي، ويذكر السيد "محمد" أن امرأة في تلكيف ظهرت وهي تعالج بالعزامة لكنها تأخذ النقود مقابل ذلك وادّعت أن لها علاقة ببيت السيد توحي وأنها تنحدر منهم وهي ليست كذلك بحسب تأكيده فتابعوا الأمر ووجدوا أنها تستغل الناس بعملها هذا وأنها أساءت لعائلة السيد توحي وسمعتهم فمنعوها من ذلك، ويُجزم المبحوث أن "هذا البيت لا يمارس أي نوع من العلاج الشعبي باستثناء العزامة على المخبث بالقرآن

الكريم، وأي شخصٍ يظهر في هذا المجال بأعمال وطرائق علاج شعبية أخرى هدفها الكسب ليس من بيت السيد توحي"، والتأكيد هنا أن الغرض من عزامتهم على المخبث هو ابتغاء الأجر والثواب ولا شيء غير ذلك.

وعند الحديث عن معالجة النساء أشار المبحوث إلى أن هناك في العائلة نساءٌ كبيراتٌ بالسن منهن "الوالدة وزوجات الأعمام" يمارسن العزامة على الإناث.

إن الطب الحديث بنظر المبحوث ضرورة لا يمكن إغفال دورها الكبير والمهم في خدمة المجتمع صحياً، والمستشفيات هي المكان الملائم للمريض من أجل معاينته وعلاجه، بالمقابل فإن الطب الشعبي وتحديداً العزامة والرقية هي طبٌ نبوي متوارث قائم بأساسه في المجتمعات الإسلامية، والعلاقة كما يشير المبحوث بين نوعي الطب تكميلية وإن تواجد أحدهما دون الآخر فإن ذلك سيُشَكِل نقصاً في الجانب العلاجي، ويسترسل قائلاً: "جاءتنا العديد من الحالات ولا أبالغ إن قلت أنها تجاوزت المئات، وهناك من الحالات من قام الأطباء بإرسالها إلينا لمعرفتهم أنها حالة إصابة بـــ(المخبث) وذلك يكون واضحاً في أعراضها الظاهرة، ومن الناس من يرتادنا قبل اللجوء إلى الطب الحديث لمعرفته بمسببات الحالة، ومنهم من يأتي إلينا بعد ذهابه للمستشفيات"(٤٥).

وفيما يخص تفضيل المعالِجين لأيامٍ محددة من الأسبوع في العزامة على مرضاهم، فقد ذكر المبحوث أنه لا يوجد يوم محدد للعزامة وذلك بفعل الحالات التي تحدث في أي وقت، مع وجود تفضيلٍ واهتمامٍ بـــ(يومي الاثنين والخميس) لعدها بحسب إشارة المبحوث وكما يفضل المعالجون أيامٌ ترفع فيها الأعمال إلى الله عز وجل وأنها أيامٌ مباركةٌ كما جاء في الأثر النبوي الشريف لسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، مع تحديد وقت العزامة بأن تكون بعد صلاة العصر لحين صلاة المغرب إلا إذا كانت هناك حالات ضرورية توجب علينا علاجها بالعزامة عليها.

وينهي المبحوث كلامه بأن الناس تنظر إليهم بأنهم أصحاب فضلٍ على المجتمع والفضل لله سبحانه وتعالى، وتُكِنُ لهم كل التقدير والاحترام، وأنهم سيعملون على استمرارهم في هذا العمل المشرف وسيصل إلى أولادهم وأحفادهم لاحقاً فهذه رغبة العائلة ككل، ونحن كمعالِجين "كما يشير المبحوث" في نهاية الأمر نعمل لنبتغي الأجر والثواب من الله عز وجل وما نحن إلا أسباب لشفاء الناس، إذ يقول الله (عز وجل) {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً} (سورة الإسراء-٨٢).

٣- السيد **رعد أبو أحمد**، عمره (٥٥) سنة، حالته المادية متوسطة، تحصيله العلمي ابتدائية، ويعمل في مجال تجبير الكسور ومعالجة الفسوخ والرضوض[٤٦]، وقد تعلم المهنة من والده الذي تعلمها بدوره من جده وتعمل العائلة في هذا المجال العلاجي منذ عام (١٩١٠)[٤٧].

ويشير المبحوث إلى أنه يعمل لوحده حالياً من مجموع أفراد عائلته في هذه المهنة[٤٨] ومنذ ما يقارب (٢٠) سنة أو ما يزيد عن ذلك مؤكداً أنه يحرص على تعليمها لأولاده وأحفاده لعدها مهنة إنسانية هدفها إنقاذ الناس من آلامهم وأوجاعهم، ولعدم وجود الجرأة لدى البعض من أفراد العائلة فإنهم لم يرغبوا بممارسة هذا العلاج واقتصرت على البعض منهم بل أنه كطريقة علاجية اقتصر على الذكور دون الإناث ضمن محيط العائلة.

ويكمل المبحوث كلامه الشفاء والعلاج من الله عز وجل، ونحن نعتمد في علاجنا للإصابات على الطلب من المريض بإجراء صورة أشعة سينية للجزء المكسور أو المصاب ثم التأكد من نوع الكسر ودرجة صعوبته وخطورته ثم إجراء العلاج مقابل أجرٍ معين "لم يذكر المبحوث قيمته المالية"، ويجب بحسب إشارة المبحوث استمرار الطب الشعبي بطرائقه العلاجية المتنوعة حتى في ظل ما وصل إليه الطب الحديث من تطور وتقدم علمي وتكنولوجي، ويرى أن نوعي الطب

"الحديث والشعبي" مكملان أحدهما للآخر وينطلق بذلك من نفسه كمعالِج فهو كما أشرنا سابقاً يرسل المصاب إلى المستشفى لإجراء صورة أشعة سينية ويقوم بإجراء العمل العلاجي بنفسه، ويكمل المبحوث حديثه هناك من الناس من يراجعني للعلاج قبل ذهابه للمستشفى "لرخص أجور المعالجة، ولقُرب منطقته السكنية من محل علاجي، ولأنه قد تكررت هذه الحالة وارتادني من قبل لتلقي العلاج" ومنهم من يفضل الذهاب للمستشفى والخضوع للأطباء في علاج إصابته، والأمر في النهاية هو معالجة الأمراض والإصابات والحفاظ على الصحة بإذن الله سبحانه وتعالى.

وينهي السيد "رعد" كلامه بأنه سيحافظ على ما تعلمه من والده أو السيد أبو عزت في مجال تجبير الكسور ومعالجة الفسوخ والرضوض وأنه يحاول تطوير هذا العمل العلاجي، مؤكداً على أنه يشعر بالضجر إذا ما علم أن هناك من غير عائلته من يعمل بنفس عمله "التجبير" بخاصة إذا ما كان هذا الشخص لا يعطي حق عمله أو مهنته.

٤- السيد **فتحي أحمد شيبان إبراهيم خليل الساري**، يبلغ من العمر (٦٠) سنة، تحصيله العلمي ابتدائية، حالته المادية متوسطة، مهنته الأصلية سائق سيارة كبيرة "حمل"، عمله العلاجي إجراء العزامة على "عرق النسا"[٤٩] الذي يُعالِج بطرائق علاجية عديدة منها مثلاً الاكتواء والحِجامة وغيرها من الطرائق، تناقل أفراد عائلة المبحوث العلاج بالعزامة على عرق النسا منذ عشرات السنين[٥٠] أوصلها الأجداد إلى الآباء كأمانة وتوارثوها عبر أجيالهم وحافظوا عليها على أنها "تسلومة" خاصة بالعائلة ومن الضروري أن لا تتوقف عند شخصٍ واحدٍ من العائلة بل يجب أن تصل إلى الأبناء والأحفاد وأن تستمر ابتغاءً لرضاء الله عز وجل، ومحافظةً على إرث السابقين وسمعتهم، وخدمة للمجتمع العراقي بعامة ومجتمع مدينة الموصل بخاصة.

ويذكر المبحوث أن لديه أخٌ آخر يكبره سناً يمارس نفس العمل العلاجي، وهناك من العائلة من النساء الكبيرات بالسن من يمارسن هذا العمل العلاجي أيضاً

والكل تعلمها بفعل نقلها من شخصٍ لآخر فهي لا تتطلب إلا قراءة آيات من القرآن الكريم، مع أن بعضهم ينصح ببعض الأعشاب الطبية كعلاج آخر مساعد إلى جانب العزامة "ولم يُشِر المبحوث إلى طبيعة الأعشاب الطبية المستخدمة أو نوعها أو حتى أسمائها".

ويقول السيد "فتحي" نحن نتعامل مع الموضوع روحياً ونقصد حالة المريض النفسية ونصب تركيزنا عليها والأمر لا يتطلب إلا التفاعل نفسياً مع الآيات القرآنية الكريمة، ويشير إلى أن هناك أيام مفضلة من كل أسبوع للعلاج وهي أيام (الاثنين والخميس) ودون حصرٍ لأي وقتٍ من الأوقات خلال اليوم، ولعل الأمر متعلقٌ هنا بمضامين دينية مرتبطة بتحديد الأيام الخاصة بالعلاج وقد أشرنا إليها في الحالة الثانية.

وأبدى المبحوث رأيه بأن العزامة هي طبٌ نبوي مصدره القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة، ولكن هذا لا يعني أن نغفل دور الطرائق العلاجية الشعبية الأخرى في علاج هذا المرض تحديداً، وأن لا نتخلى عن الطب الحديث وما له من دورٍ وبخاصة في ظل ما وصل إليه الطب الحديث اليوم من تقدمٍ وتطورٍ في مجال التجارب والاكتشافات والدراسات والبحوث الأكاديمية، فللطب الحديث وزنه وتأثيره كما للطب الشعبي مع التركيز على أن المرضى يفضلون العلاج الشعبي على الحديث لكثرة الحبوب الدوائية والعقاقير والحقن الطبية التي يصفها لهم أطباء المستشفيات والعيادات.

ويختم السيد "فتحي" كلامه "أحب أن أبقى على ما تعلمته من والدي (رحمه الله)، فأنا أشعر بالراحة لذلك وأشعر بأن المجتمع ينظر إليّ وإلى جميع أفراد عائلتي باحترامٍ وتقديرٍ ووقارٍ وإنسانية، وكل أفراد عائلتي الذين ينحصر بهم العمل العلاجي يحبون أن يخدموا المجتمع وأن يقدموا هذا العمل البسيط لأهلهم ومجتمعهم ابتغاءً للأجر والثواب من الله عز وجل"، ومن الجدير بالذكر أن هذه العائلة تعالِج كذلك

مرض "الشري"[٥١] بالعزامة أيضاً، وقد عالجوا بحسب ما يؤكد المبحوث العديد من هذه الحالات المرضية.

٥- السيد **حسان عبد الجبار محمود عويد الطائي**، عمره (٤٢) سنة، تحصيله العلمي ابتدائية، يعمل كاسباً "بقال"، حالته المادية متوسطة، عمل عائلته العلاجي "معالجة أبو صفار"[٥٢]، تعلم العمل العلاجي من أبيه الذي توارثها من آبائه وأجداده الذين مارسوا هذا العمل العلاجي قبل (١٢٠) سنة تقريباً بحسب إشارة المبحوث لذلك.

يذكر المبحوث أنه تعلم المهنة من والده الذي تناقلها بدوره عن من سبقه من آبائه وأجداده، فهم يتناقلون هذه الطريقة العلاجية ليبقى هذا النوع من الطب مستمراً، لذلك فلم تقتصر ممارسة العلاج على شخصه لوحده بل يمارسه معه والدته "بالنسبة للإناث" وإخوته وسيتعلمها الأبناء والأحفاد بإذن الله تعالى وستنتقل بحسب ما يذكر المبحوث إليهم لحرص جميع من تعلموا هذا العمل العلاجي من العائلة في إيصال إرث الأجداد إلى الأبناء والأحفاد.

ثم يشير المبحوث إلى أهمية العلاج الشعبي في المجتمع بقوله[٥٣]: "لماذا تستمر طريقتنا في العلاج الشعبي إن لم يكن هناك فائدة منها؟، ولماذا يرتادنا الناس إن لم يحصلوا على العلاج الشافي بإذن الله عز وجل؟، وما هو السبب وراء تزايد إقبال الناس إلى هذا النوع من العلاج؟...، فالطب الشعبي هو أصل الدواء مع العلم باختلاط ممارساته في مراحله الأولى بالسحر واستغلال الناس لطبيعة عقليتهم البدائية البسيطة، بل وحتى في الوقت الحاضر توجد بعض الممارسات العلاجية التي تهدف إلى استغلال الناس مادياً، ولكن على المستفيد من العلاج الشعبي أن ينتبه إلى نوع العلاج الذي يرتاده وطريقة العلاج والناس الذين يعالجونه بأخذه بالأسباب الملائمة لشفائه بإذن الله لكي لا يقع ضحية الدجالين والمشعوذين".

وأوضح السيد "حسان" أن الطب الحديث له مكانته الرائدة والمهمة في المجتمع كذلك، فالأطباء والمستشفيات والمراكز الصحية والبحوث والدراسات

والأجهزة والوسائل العلاجية الحديثة وُجِدَت لخدمة الناس والمجتمع صحياً وتطورت وتقدمت تكنولوجياً ولها دورها الفعال في الحفاظ على سلامة المجتمع ومقاومة الأمراض التي تواجهه، وبقدر تعلق الأمر بالمرض الذي نعالجه فهناك نوع خطير وقاتل من "أبو صفار" تصعب معالجته إن لم نقل أنها تستحيل، مع أننا "كما يوضح المبحوث" لم تأتي إلينا حالة من "أبو صفار" أدت بصاحبها إلى الوفاة لا قدر الله، فهناك من الناس من يأتينا قبل ذهابه إلى المستشفى وهناك من يأتينا بعد لجوئه إلى الأطباء، وهناك من يرسله الأطباء إلينا، نهاية الأمر على المريض أن يلتزم بنصائح الطبيب والمعالج الشعبي للشفاء بإذن الله تعالى.

وبالنسبة لتكاليف العلاج أشار السيد "حسان" بأنهم لا يتقاضون أي مبلغ أو أي مقابل مادي لقاء عمله العلاجي، ويسترسل في حديثه "أحاول كثيراً أن أعمل على تطوير ما تعلمته من والدي بتوفير مكان خاص للعلاج تحديداً تتوفر فيه الظروف الصحية الجيدة والملائمة للتطبيب والعلاج، ولم أشعر بالضجر يوماً عند معرفتي بوجود أشخاص آخرين من غير عائلتنا يعالجون هذه الحالة المرضية، فلِمَ أشعر بالضجر والهدف هو علاج الناس على أن لا يكون هناك استغلال مادي للمستفيدين من هذا النوع من العلاج.

٦- السيد **عبد العزيز إلياس سلطان الخاتوني**، عمره (٤٥) سنة، تحصيله العلمي دكتوراه في قسم الحضارة/ كلية الآثار/ جامعة الموصل، حالته المادية متوسطة، مهنته الأصلية أستاذ جامعي، يمارس العلاج بالكي لـــ"عرق النسا" وقد تعلم هذه الممارسة العلاجية كما تعلمتها زوجته من والده بعد أن مارسها معه عندما كان صغيراً واستمر على هذه الطريقة العلاجية لوحده بعد وفاة والده منذ عام (١٩٩٨) تقريباً، وكان والده قد تعلمها من والدته أي: جدة السيد "عبد العزيز" ويمتد توارث العائلة لهذه الطريقة العلاجية إلى (٧٠) سنة تقريباً، ويذكر المبحوث أنه يمارس المهنة منذ (٢٠) سنة بحضور والده وبعد وفاته، ويمارسها الآن أولاده وزوجته.

ويوضح المبحوث أن حبه في الحفاظ على ما ورثه من والده في هذا المجال هو ما دفعه للاستمرار في هذا العمل أولاً، وثانياً فإن حاجة الناس له كمعالج وبخاصة في بدايته على المستوى المحلي في "قضاء سنجار" حيث كان يسكن له الدافع والتأثير في الاستمرار، أما ثالثاً فقد أصبح السيد "عبد العزيز" معروفاً لممارسته لهذا النوع من الممارسة العلاجية ويقصده الناس للاكتواء فيرى أنه لا بد من الاستمرار على هذا العمل العلاجي، علماً أنه لا يتقاضى أي مقابل مادي لقاء ما يقوم به من علاجٍ وإشفاءٍ للمرضى بإذن الله تعالى.

ويذكر السيد "عبد العزيز" أن العلاج الشعبي يكون هو العلاج الرئيس في بعض الحالات ومنها مثلاً حالات المس والجن وهي حالات يُستعصى علاجها بالطب الحديث، وفي بعض الحالات يكون الطب الشعبي مكملاً للطب الحديث فيلجأ الناس إلى نوعي الطب للحصول على فرصة علاجية، وفي بعض الأحيان لا يكون العلاج الشعبي ذا جدوى علاجية بخاصة إذا ما اختلطت بعض الممارسات الطبية الشعبية بالدجل والشعوذة واستغلال الناس فضلاً عن جهل المعالج فيما يصفه للمريض من علاج مما قد يترك خطراً على حياة المريض، ولكن بكل الأحوال للطب الشعبي مجاله الواسع وحضوره العلاجي الفعّال الذي مرّ من خلال أغلب المجتمعات سواءً البدائية أو الإسلامية أو غيرها وعبر الأزمنة ليصل إلينا بألوانه الموجودة حالياً في المجتمعات الإنسانية، لذلك يرى المبحوث ضرورة استمرار العلاج الشعبي مع التركيز على ما للطب الحديث من دورٍ أساسٍ ورئيسٍ في مجال الحفاظ على صحة الإنسان في الوقت الحاضر في ظل ما وصلت إليه المجتمعات الإنسانية من تطورٍ وتقدم.

ويشير المبحوث إلى أن موضوع العلاج بالكي ليس كما يراه البعض سهلاً، فالمرض له مسببات وله أعراض ويحتاج إلى تشخيص دقيق وفيه أماكن خاصة للاكتواء[٥٤]، ومن لا يملك المعرفة والدراية والكفاءة والجرأة في العلاج بالكي عليه

أن لا يتسبب في أذية الناس وسمعة هذا النوع من العلاج ثم سمعته كمعالج، فالعلاج ذو أهمية وقد أشار إليه الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) في أحاديثه النبوية الشريفة، فقد جاء في الحديث الشريف عن سعيدٍ بن جبير (رضي الله عنهما) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كيةٍ بنار، وأنا أنهي أمتي عن الكي)[٥٥]، وقد يكون النهي هنا لما للعلاج بالكي من موضع ألمٍ في محل الاكتواء، وينهي المبحوث كلامه بأن المعالج الجيد يحظى برضاء الله عز وجل ورضاء الناس وحبهم وتقديرهم له، وينوي تطوير ما تعلمه من أبيه في مجال العلاج الشعبي باستخدام بعض الأساليب والوسائل الحديثة، وأنه يضجر إذا ما علم أن هناك شخص تعلم هذا النوع من المعالجة منه ومارسه بدون علمه وهذا يعكس حصر الممارسة العلاجية داخل محيط العائلة فقط.

٧- السيد **مُضَر نافع عبد الله**، عمره (٣٤) سنة، خريج معهد فني تكنولوجي/ قسم الكترونيك في عام (١٩٩٥)، ويدرس الصيدلة حالياً "دراسة خارجية" وهو في المرحلة الثانية، حاصل على شهادات عدة في مزاولة التطبيب بالأعشاب منها (دورة في العلاج بالأعشاب في تركيا بدرجة جيد، ودورة من المعهد العربي للطب البديل والعلاج بالحِجامة بدرجة امتياز، ودورة الإبر الصينية بدرجة جيد)، حالته المادية متوسطة، العلاج بالأعشاب يمثل مهنته الرئيسة ومصدر كسب رزقه الوحيد مع أنه يعالج بعض الحالات "منها للأقارب والجيران" بدون مقابل مادي، تعلم المهنة من والده[٥٦] والعائلة تمارس هذه المهنة منذ (٥٠) سنة أو ما يزيد عن ذلك.

ثم يذكر السيد "مُضَر" أنه يرغب بالاستمرار في ممارسة عمله العلاجي هذا فيقول[٥٧]: "بلا شك أن أحد أهم الأسباب الدافعة لاستمراري في الطب الشعبي هو حبي لعملي العلاجي، فأنا أجيده بصيغة علمية أنفع بها الناس وأساعدهم بقدر استطاعتي لذلك، وكان هناك إصرارٌ مني على الاستمرار في هذا العمل في فترة

التسعينيات من القرن المنصرم عندما ابتُلِيَ العراق بالحروب والحصار ومخلفاتهما من الفقر والأمراض وما شابه ذلك، فضلاً عن أني وجدت نجاحي وإبداعي في هذا الاختصاص العلاجي"، ويسترسل المبحوث بكلامه موضحاً أنه سينقل ما تعلمه لأولاده فالعمل العلاجي بركةٌ في الرزق وخيرٌ في مساعدة الناس، وشقيقة المبحوث تمارس هذا العمل العلاجي العشبي في مزرعة زوجها، وعملها يقتصر على القضايا التجميلية مثل علاج الكلف ومبيض البشرة وما شابه ذلك.

ثم يوضح السيد "مُضَر" العلاقة بين الطب الشعبي والطب الحديث بإشارته إلى أنه يجب أن لا يفهم الناس أن الطب الشعبي هو طبٌ بديلٌ عن الطب الحديث، بل هو مكملٌ له، والمبحوث في صدد انتهائه من طبع كتابٍ يبحث في الدور التكميلي بين نوعي الطب الشعبي والحديث، ويبحث في تفادي الأضرار الجانبية للعلاجات الكيماوية مع العلم بدور الطب الحديث وما له من مكانة وأهمية علاجية في المجتمع، ويبحث عن أسباب لجوء نسب عالية من السكان في مجتمعنا وفي المجتمعات الأخرى إلى العلاج بالأعشاب الطبية.

وينهي المبحوث كلامه في التركيز على وجوب وجود الشروط التي تحافظ على مأمونية العلاج الشعبي والتي منها ....، أن يعرف المعالِج في هذا المجال أن نوع العشبة الطبية تحوي على المادة العلاجية الفعّالة وأنها غير عفنة ونظيفة ومجففة ومخزنة وفق معايير علمية، وأنها تكون معبأة بعلبٍ نظيفة تحمل المواصفات الصحية وأن يكون اسم المحل أو المعالِج مثبتاً على الغلاف الخارجي للعلبة لكي يعكس مسؤولية من يصف العلاج للناس فضلاً عن أنه يجب وجود التحذيرات والنصائح الطبية على علبة كل عشبة بالنسبة لمن يعاني من الأمراض المزمنة والأطفال وكبار السن والنساء الحوامل وما إلى ذلك، ولعل أهم ما يجب توفره بالمعالِج بالأعشاب هو أن يكون ملماً بالتقارير الطبية من فحوصاتٍ مختبرية وما شابه ذلك، وأن لا ينظر

إلى عمله نظرة الكسب والتحصيل المادي بل أن يكون مخلصاً في عمله خدمةً لسمعته وحفظاً لصحة الناس والمجتمع.

٨- السيد **بسام يحيى نايف** "**أبو يحيى**"، عمره (٤٠) سنة، خريج إعدادية الدراسات الإسلامية الحالة المادية متوسطة، مهنته الأصلية كاسب "بقال"، عمله العلاجي (العلاج بالحِجامة)[٥٨] في محله "دار الطب النبوي للحِجامة" في عمارة الشبخون/شارع النجفي.

يذكر المبحوث أنه تعلم العمل بالحِجامة من صديقٍ له كان يعمل في هذا المجال العلاجي، إذ ذهب المبحوث إليه ليحتجم عنده عندما كان يعاني من "مرض الشقيقة"، وحبب إليه صديقه العمل بالحِجامة ولقيت الفكرة استحساناً من السيد "بسام" وفعلاً كانت بداية عمله من حينها وكان ذلك عام (١٩٩١)، وهو الآن يعالِج الناس بالأعشاب الطبية إلى جانب معالجته لهم بالحِجامة كطريقة علاجية رئيسة.

ويوضح المبحوث أن هذه الطريقة العلاجية هي من سنن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (إن كان في شيءٍ مما تداوون به خيرٌ فالحِجامة)[٥٩]، وأن هذه الطريقة العلاجية فيها فوائد طبية عظيمة ولها دور في معالج بعض الأمراض المستعصية، فضلاً عن أنها أي: الحِجامة ليس فيها ألمٌ يذكر حين التشريط، وهذه هي الأسباب التي تقف خلف استمرار المبحوث بهذا المجال العلاجي بحسب ذكره لذلك.

ويذكر المبحوث أنه بالنسبة للذكور من عائلته يعمل لوحده في العلاج بالحِجامة لعدم رغبة باقي أفراد أسرته في تعلمها لخوفهم من الدماء التي تخرج عند الاحتجام، وبالنسبة للإناث فإن زوجته وشقيقته تمارسان هذا العمل العلاجي في البيت لمعالجة النساء، ويرغب المبحوث ويحرص على نقلها كطريقة علاجية إلى أولاده وأحفاده[٦٠].

ويشير المبحوث إلى أن هناك أسباب تقف خلف لجوء الناس إلى العلاج بالحِجامة، ففضلاً عن أنها طريقة علاجية مستمدة من الطب النبوي، فهي العلاج الأقل كلفة[٦١] والآمن علاجاً والأسرع من حيث النتائج بحسب ذكره لذلك، ويوضح السيد "بسام" أن من الناس يرتاده قبل اللجوء للطب الحديث ومنهم من يلجأ إليه بعده، ويرى أن من الضرورة استمرار العلاج الشعبي وتحديداً "الحِجامة" لما لها من أهمية علاجية إلى جانب طرائق العلاج الشعبي الأخرى وإلى جانب وجود الطب الحديث المتقدم والمتطور.

ويشير المبحوث إلى أن هناك أيام خاصة بالحِجامة كما يرشدنا الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، فعن ابن عمرٍ (رضي الله عنهما) أنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (الحِجامة على الريق أمثل، وهي تزيد في العقل وتزيد في الحفظ وتزيد الحافظ حفظاً، فمن كان محتجماً فيوم الخميس على اسم الله واجتنبوا الحِجامة يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد، واحتجِموا يوم الاثنين والثلاثاء، واجتنبوا الحِجامة يوم الاربعاء فإنه اليوم الذي أُصيب فيه أيوب بالبلاء، وما يبدو جذامٌ ولا برصٌ إلا في يوم الاربعاء أو ليلة الاربعاء)[٦٢]، فضلاً عن ما تقدم ذكره توجد أيام أشار إليها الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالتاريخ الهجري، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال: (من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين كان شفاءً من كل داء)[٦٣]، والمعالِج "أبو يحيى" يعمل بالحِجامة فقط في هذه الأيام الثلاثة (الاثنين والثلاثاء والخميس) من كل أسبوع، ويركز على الأيام (١٧، ١٩، ٢١) من كل شهرٍ عربي، ويتضح من ذلك أن التزامه بالطريقة العلاجية يرتبط مباشرةً بما تحمله هذه الطريقة من مضامين دينية.

المبحث الخامس:- نتائج البحث وتوصياته ومقترحاته:-

أولاً:- نتائج البحث:- توصل البحث إلى مجموعة من الاستنتاجات وهي كما يأتي:-

١- إن من توارثوا طرائق العلاج الشعبية في العائلة المختصة بنوعٍ معينٍ من الطب الشعبي في مجتمع مدينة الموصل تبين أنهم ذوو مستويات تعليمية متنوعة، فمنهم من اقتصرت شهادته على الابتدائية والثانوية، ومنهم من حملة شهادة المعهد، ومنهم في طور إكمال دراسته للصيدلة، فضلاً عن أن أحدهم يحمل شهادة الدكتوراه في كلية الآثار، هذه المستويات التعليمية تتيح لذويها إمكانية علاج الحالات المرضية بأساليب ووسائل وطرائق أكثر علمية من خلال قراءتهم للكتب والملفات الطبية في مجال الاختصاص العلاجي ومعرفة مسببات المرض وكيفية علاجه عن طريق الإرث العلمي الطبي في الكتب والمناهج، إلى جانب ما تعلموه من آبائهم وأجدادهم في كيفية معالجة الأمراض والإصابات.

٢- إن طرائق العلاج الشعبي (العزامة والحِجامة والاكتواء وطب الأعشاب والتجبير وعلاج الحروق وما إلى ذلك)، تنتشر اليوم بأشكالها المتنوعة التي بدأت من عمقٍ زمني يمتد ما بين (٥٠) إلى (٢٠٠) سنة تقريباً وإلى يومنا هذا، موضحة بذلك امتداداً لثقافة طبٍ شعبيٍ استمرت عن طريق عوائل مختصة ومعروفة بنوع معين من العلاج الشعبي في مجتمع مدينة الموصل.

٣- هناك من العوائل المعروفة بممارستها لمجالٍ معينٍ من الطب الشعبي يحتكر أفرادها الممارسة العلاجية داخل محيط عائلتهم على أنها "تسلومة" كالعزامة مثلاً، فمع العلم ببساطتها وعدم وجود مقابل مادي فيها إلا أنهم يضجرون لمجرد معرفتهم بوجود شخصٍ من خارج العائلة يمارس نفس عملهم بخاصة إذا ما علموا أنه يعمل بدون علمهم ويستغل الناس مادياً أو يستغل صيتهم وسمعتهم في المجتمع، وقد ارتبط الأمر عند المعالِجين في البحث عن الشهرة والسمعة الطيبة والصيت الذائع للعائلة تحديداً في مجتمع مدينة الموصل.

٤- يُجمِع المعالِجين الموجودين ضمن محيط العينة على أن للطب الشعبي بطرائقه العلاجية المتنوعة دوره الفعّال في الحفاظ على صحة الفرد والمجتمع، إلى جانب وجود الطب الحديث بصورته المتقدمة والمتطورة تكنولوجياً ودوره في علاج الحالات المرضية والإصابات المتنوعة وأهميته العلاجية التي ترشحه ليمثل النوع الأساس والمفضل للتطبيب لدى العديد من أفراد المجتمع، ويرى المبحوثون أن العلاقة بين نوعي الطب تكميلية، فلا غنى لنوع محددٍ من الطب عن آخر، فهناك من الأطباء من يرسلون مرضاهم إلى المعالِجين الشعبيين، بالمقابل هناك من المعالِجين بالطب الشعبي من يعتمدون على الطب الحديث في علاج الإصابات والأمراض فالعشّاب مثلاً يعتمد في وصف العلاج الدوائي للعديد من المرضى المرتادين له بعد اطلاعه على التقارير والفحوصات الطبية التي أجراها المريض في المستشفى والمجبِّر لا يعالج إصابة الكسور أو الفسوخ والرضوض إلا بعد إجراء المصاب لصورة أشعة سينية للإصابة، وكذلك لا يمكن تصور وجود نوع من الطب دون آخر، إذ توجد حالات مرضية كالمس مثلاً لا يمكن علاجها إلا بإحدى طرائق العلاج الشعبي (وبالعزامة والرقية تحديداً)، بالمقابل هناك أمراضٌ معينةٌ لا يمكن أن يتم كشفها ومعرفة نوعها إلا بوسائل وأساليب طبية حديثة ومتطورة.

٥- يشير المبحوثون إلى وجود بعض الممارسات العلاجية المقترنة باستغلال الناس مادياً ومعنوياً وهذا من فعل الدجالين والمشعوذين والسحرة كما أشار المبحوثين، وهذه الممارسات لا تمت بصِلة إلى العوائل المعروفة بطرائقها العلاجية الناجعة والواضحة والصريحة المستقاة من التجارب التي أثبتت نجاعتها العلاجية والتي توارثتها الأجيال، ومن الكتب والملفات الطبية، فضلاً عن أن بعضها مستنبط من القرآن والسنّة النبوية الشريفة مما يعطيها قدسية في نظر بعض المعالِجين.

٦- بعض المعالِجين تمثل طريقته العلاجية مصدر رزقه الأصلي وطريق كسب عيشه الوحيد، لذلك فإنهم أشاروا إلى أنهم يسعون للمحافظة على مهنتهم العلاجية

والإبداع فيها حفظاً على صحة الفرد والمجتمع، وحفاظاً بالمقابل على الكسب المادي والمنفعة المالية التي تعود فائدتها إليهم، ومما تجدر الإشارة إليه هو أن بعض المعالِجين يبيع بعض المواد العلاجية كالعسل أو الحبوب الدوائية أو نوع معين من أنواع الزيوت النباتية بأسعارٍ عاليةٍ وأثمانٍ باهظة تثقل كاهل المريض ولا نغالط الواقع إن قلنا أن في بعضها نوعاً من الربح الزائد مع العلم بكلفة بعض العلاجات العالية من مصدرها الأساس، فالمريض يبحث عن أي علاج مقابل علاج مرضه.

٧- ارتبطت بعض الطرائق العلاجية في مجتمع مدينة الموصل كـــ(العزامة والحِجامة والاكتواء وحتى علاج الحروق) بمضامين وتفسيرات دينية كشفت عنها نتائج الدراسة وهي كالآتي:-

أ- أن هناك من الممارسين في مجال علاج العزامة وعلاج الحروق والاكتواء لا يريدون أي مبلغ مالي مقابل عملهم العلاجي في علاج المرضى والمصابين، بل أنهم بحسب ما أشاروا يبتغون الأجر والثواب ورضاء الله عز وجل وأنهم يشعرون أن عملهم هذا صدقة جارية عن أنفسهم وعن أرواح من سبقوهم في هذا العمل العلاجي من آبائهم وأجدادهم.

ب- يشير المعالِجون بل وحتى المستفيدون من الطب الشعبي أن الطرائق العلاجية (العزامة والحِجامة والاكتواء) مستمدة ومستوحاة من القرآن الكريم ومن السنّة النبوية الشريفة للرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم).

ج- أشار بعض المعالِجين وبخاصة في حالات العزامة والرقية والحِجامة إلى وجود أيام خاصة بممارسة هذه الطرائق العلاجية وهي (الاثنين والثلاثاء والخميس)، مشيرين إلى تأكيد الأحاديث النبوية الشريفة على ذلك كما أوضحنا سابقاً، وكذا الحال بالنسبة لتأكيدهم على أيام (١٧، ١٩، ٢١) من الشهر الهجري على أن العلاج فيها من سنن الرسول (صلى الله عليه وسلم).

د- هناك من محلات العلاج ما عكست لنا تسمياتها وجود المضمون والمحتوى الديني للظاهرة موضوع البحث، منها مثلاً (دار الطب النبوي للحِجامة)، بل وأن من يمارسها يعكس ملبسه الإسلامي وحديثه الديني ولحيته وما إلى ذلك هذا المحتوى والمضمون.

ثانياً:- التوصيات والمقترحات:-

١- وجوب خضوع بعض المعالِجين بالطب الشعبي للرقابة والمتابعة الصحية من جهات طبية حديثة ومتطورة، بغية التأكد من توافر الشروط الصحية الملائمة لعلاج الحالات المرضية حفاظاً على صحة الأفراد في المجتمع، ومحاربة للدجالين والمشعوذين المستغلين للناس في هذا المجال.

٢- يجب خضوع أغلب المعالِجين بالطب الشعبي ومنهم على وجه الخصوص المعالِجين بالأعشاب لتدريبٍ مؤسسي يُشرف عليه مجموعة من الأطباء والخبراء المختصين بعلم الأعشاب الطبية والأمور الصيدلانية، لكي يُسهم في رفع مستوى كفاءتهم ومؤهلاتهم في تشخيص الأمراض وطرق علاجها والوقاية منها.

٣- ضرورة عمل ندوات أو محاضرات من شأنها توضيح الدور المكمل بين نوعي الطب (الشعبي والحديث)، وبيان فوائد وأضرار كلاً من الجانبين.

٤- ضرورة وجود جهة أو نقابة خاصة بالمعالِجين الشعبيين وبكل اختصاصات الطب الشعبي المتنوعة للوقوف على طلباتهم وتحقيقها إن أمكن ذلك، ومحاسبة المقصرين منهم إذا ما أساءوا لصحة الناس وإذا ما لم يتقنوا عملهم العلاجي بكفاءة ومهارة.

الهوامش:

(١) حسن الخولي، الريف والمدينة في مجتمعات العالم الثالث-مدخل اجتماعي ثقافي، الطبعة الأولى، دار المعارف للطباعة والنشر، جامعة عين شمس، مصر، ١٩٨٢، ص١٦١.

(٢) عبد الرزاق صالح محمود، (الطب الشعبي في مدينة الموصل–دراسة اجتماعية)، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، جامعة الموصل، العراق، آذار، ٢٠٠٥، ص٨.

(٣) الانترنت، نادية بلحاج، السحر والتطبيب في المغرب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، ١٩٨٦، نشرت هذه الدراسة ضمن مواد الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الاشتراكي، ١٩٨٧، العدد ١٧٨، موقع محمد أسليم، صفحة المقالات، المغرب، ٨ / ١ / ٢٠٠٤.

(٤) عبد الرزاق صالح محمود، الطب الشعبي في منظور أطباء الطب الحديث – دراسة ميدانية في مدينة الموصل، مجلة دراسات موصلية، العدد الثامن عشر، السنة السادسة، طباعة وحدة الحاسبة في مركز دراسات الموصل، العراق، ٢٠٠٧، ص١٢٧.

(٥) إحسان محمد الحسن، وفوزية العطية، الطبقية الاجتماعية، مطابع جامعة الموصل، العراق، ١٩٨٣، ص١٠٦.

(٦) الانترنت، انتصار حسين، مفهوم المهنة والوظيفة والعمل، المركز الاكاديمي لتجميع الدراسات والبحوث العلمية، طرابلس، ليبيا، ٩/ ٢/ ٢٠١٠.

(٧) الانترنت، إدارة منتديات مجد العرب، تعريف المهنة، منتديات مجد العرب، قسم الصور والأبحاث-التقارير والبحوث، ليبيا، ٢٢/ ٨/ ٢٠١٠.

(٨) الانترنت، مصطفى دعمس، الطب الحديث والطب الشعبي، منتديات مملكة العلوم، لا يوجد أسم دولة، ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٩.

(٩) الانترنت، مجموعة كُتَّاب منتدى مدينة محردة، آخر اكتشافات الطب الحديث، صفحة الطب والصحة، حماه، سوريا، ١٣/ ١٠/ ٢٠١١.

(١٠) حميد موراني وعبد الحليم منتصر، قراءات في تاريخ العلوم عند العرب، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ١٩٧٤، ص ٥٨-٧١؛ أحمد شوكت الشطي، العرب والطب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ١٩٧٠، ص٥-٢٧؛ الانترنت، أحمد فؤاد، الطب الشعبي، منتديات ديوان العرب، المملكة العربية السعودية، ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٣.

(١١) الانترنت، محمد المهدي، حيرة مريض نفسي بين الطب والغيب، منتديات أتباع المرسلين الإسلامية، المنتدى الطبي، القاهرة، مصر، ٢٨/ ٩/ ٢٠٠٦؛ الانترنت، منير عرب،

تحدي الأطباء في علاج الحالات المستعصية، مجلة إقرأ، العدد ١٢٨٦، الرياض، السعودية، ١٦/ ١١/ ٢٠٠٠.

(١٢) منير حسين فوزي، العلوم السلوكية والإنسانية في الطب، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٢٤١-٢٥٢.

(١٣) فرج محمد الهوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، بنغازي، ليبيا، ١٩٨٦، ص١٢٣-١٧٣.

(١٤) نفس المصدر، ص١٥٢-١٥٤.

(١٥) سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل، الجزء الأول، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، الموصل، ١٩٨٢، ص٢١٧-٢١٨.

(١٦) عماد غانم الربيعي، بيوتات موصلية، الجزء الأول، بدون دار نشر، الموصل، العراق، ٢٠٠٢، ص ٧٧، ١٧٧، ٢٢٢، ٢٣٨.

(١٧) نفس المصدر، ص١٩، ٣٧، ١٠٥، ١٨٤-١٨٥، ٢٣٣، ٢٨٣.

(١٨) أزهر العبيدي، الموصل-أيام زمان، الطبعة الثانية، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ١٩٩٨، ص ١٦٧-١٧١.

(١٩) الانترنت، حسام الدين عرفة، الطب الشعبي، موقع الإسلام اليوم، القاهرة، مصر، ٥/ ١١/ ٢٠٠٢.

(٢٠) محمود الحاج قاسم محمد، العلوم الطبية، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الثالث، الطبعة الأولى، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ١٩٩٢، ص٢٠٦؛ محمود الحاج قاسم محمد، الطب، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ١٩٩٢، ص٣٧٨؛ محمود الحاج قاسم محمد، مقالات في الطب وتاريخه، الطبعة الأولى، مكتب الماجد، الموصل، العراق، ٢٠٠٣، ص٧.

(٢١) محمود الحاج قاسم محمد، الطب، مصدر سابق، ص٣٧٩؛ عماد غانم الربيعي، بيوتات موصلية، الجزء الأول، مصدر سابق، ص١٩، ٣٧، ١٠٥، ١٨٤-١٨٥، ٢٣٣، ٢٨٣؛ أزهر العبيدي، الموصل-أيام زمان، مصدر سابق، ص١٦٨-١٧٠.

(٢٢) حسن الخولي، الريف والمدينة في مجتمعات العالم الثالث-مدخل اجتماعي ثقافي، مصدر سابق، ص١٨٠-١٨١؛ عبد الرزاق صالح محمود، (الطب الشعبي في مدينة الموصل–دراسة اجتماعية)، مصدر سابق، ص٤٦.

(٢٣) الانترنت، حسام الدين عرفة، كيف يُمارس الطب الشعبي، موقع الإسلام اليوم، القاهرة، مصر، ١٨/ ١١/ ٢٠٠٢.

(٢٤) محمود الحاج قاسم محمد، الطب، مصدر سابق، ص٣٧٩-٣٨٠؛ محمود الحاج قاسم محمد، مقالات في الطب وتاريخه، مصدر سابق، ص ٩، ١٣٧.

(٢٥) محمد أحمد سعيد أبو زبيد، الطب الشعبي في قضاء بيسان الإسلامية، مجلة التراث الشعبي، العدد الثالث، المجلد الثالث عشر، السنة الثالثة عشر، دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق، آذار، ١٩٨٢، ص٩٩.

(٢٦) محمود الحاج قاسم محمد، مقالات في الطب وتاريخه، مصدر سابق، ص٨-٩.

(٢٧) نفس المصدر، ص١٣.

(٢٨) إدريس كرم، الطب الشعبي والتداخلات المصاحبة، مجلة التراث الشعبي، العددين التاسع والعاشر، المجلد الثاني عشر، السنة الثانية عشر، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، العراق، ١٩٨١، ص٩٨-٩٩.

(٢٩) الانترنت، علي عبد الله المقبالي، طرق ممارسة الطب قديماً، موسوعة شبوه الإسلامية-شبوه نت، دبي، الإمارات، ٧/ ٥/ ٢٠٠٥.

(٣٠) الانترنت، عماد سعد، الطب العربي قبل الإسلام وبعده، موقع بيئة أبو ظبي، الإمارات، ١٣/ ٣/ ٢٠١١؛ عماد ناجي رشيد، التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية، المجلة الثقافية، العدد السادس والخمسون، مطبعة الجامعة الأردنية، عمّان، الأردن، ٢٠٠٢، ص٣٠٢.

(٣١) يوسف إبراهيم المشني، علم الاجتماع الطبي، دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ٢٠٠٠، ص٢٠٤.

(٣٢) نفس المصدر، ص٦٣.

(٣٣) الانترنت، محمد فاروق عجم، الرصيف صيدلية الفقراء، صفحة علوم وصحة، إسلام أون لاين نت، القاهرة، مصر، ٢٢/ ١١/ ٢٠٠٨؛ الانترنت، مشرف رايق، الأعشاب الطبية نعمة أم نقمة؟، موقع شباب لك كل العمر، سوريا، ١١/ ١/ ٢٠٠٣؛ الانترنت، أشرف محمود،

صيدليات الشوارع، منشورات ديوان العرب، منشورات ديوان العرب، القاهرة، مصر، ١١/ ١/ ٢٠٠٤.

(٣٤) الانترنت، حسام الدين عرفة، من يستخدم الطب الشعبي ولماذا؟، موقع الإسلام اليوم، القاهرة، مصر، ١٧/ ٤/ ٢٠٠٢.

(٣٥) الانترنت، محمد سر الختم الميرغني، الأعشاب الطبية-البدائل القادمة لعلاج البشرية، الخرطوم، السودان، ٢/ ٤/ ٢٠٠١.

(٣٦) محمد حسن عمران حسن، العلاج الشعبي حقيقة أم خيال، مجلة المعلم، العدد ٢١٨، منتديات السبورة العلمية، الإسكندرية، مصر، ١٠/ ١٠/ ٢٠٠٣.

(٣٧) إحسان محمد الحسن وعبد المنعم الحسني، طرق البحث الاجتماعي، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ١٩٨٢، ص٣٠.

(٣٨) طريقة العمل بالعلاج الشمعي:- يجلب الشخص المصاب بالحرق إلى الشخص المعالِج ليرى حالة الإصابة "إذ أن المعالِجين بهذه الطريقة العلاجية لا يعالجون الحالات التي يرون أنها خطرة جداً بل يرسلونها إلى المستشفى"، ويعطي المعالِج كمية معينة من المادة الشمعية للمصاب أو لذويه بدون أي مقابل مادي أي: للأجر والثواب مقتنعاً بأن هذه الكمية كافية لعلاج الحرق، ويملي على المصاب التعليمات بغسل موضع الحرق بـ"الصابون الحلبي" ثم دهن المنطقة المصابة بمادة الشمع وهكذا تتكرر الحالة عدة مرات لحين علاج المصاب، مقابلة مع السيد (أياد الحاج يونس)، يوم الأحد الموافق ٣٠/ ١٠/ ٢٠١١.

(٣٩) السيد محمد حامد هو الشخص المعروف بعلاج الحروق بالمادة الشمعية منذ سنواتٍ عديدة في منطقة الفيصلية ولا يزال أولاده يحافظون على هذا العمل لعلاج الناس، وكانت تربط هذا الشخص علاقة صداقة قوية مع السيد الحاج يونس تحولت فيما بعد إلى علاقة مصاهرة لتمتد إلى علاقات عائلية قوية، وكان من ضمن ما تعلمه الاثنان هو علاج الحروق بالمادة الشمعية وحافظا عليها ونقلاها إلى أولادهما الذين يعملون بهذا النوع من العلاج حتى يومنا هذا، وقد تسنى للباحث مقابلة السيد (أياد الحاج يونس) ليكون ممثلاً لهذا النوع من العلاج وليستمد منه بعض المعلومات الخاصة بالموضوع، مقابلة مع السيد (أياد الحاج يونس)، يوم الاثنين الموافق ٣١/ ١٠/ ٢٠١١.

(٤٠) مقابلة مع السيد (أياد الحاج يونس)، يوم الاثنين الموافق ٣١/ ١٠/ ٢٠١١.

(٤١) مقابلة مع السيد (أياد الحاج يونس)، يوم الاثنين الموافق ٣١/ ١٠/ ٢٠١١.

(٤٢) الاسم الحقيقي للسيد توحي هو فتحي محمد خالد عمر وأطلق عليه السيد توحي كلقب، كان يدرس علوم القرآن والشريعة الإسلامية على يد الشيخ فتحي الذي كان يقصده الناس لطلب العلم والمعروف في مدينة الموصل منذ القِدَم، مقابلة مع السيد محمد غانم حمدون مصطفى السيد توحي، يوم السبت الموافق ٥/ ١١/ ٢٠١١.

(٤٣) المخبث:- هو نوع من الإصابة أو المرض تكون متورمة عادةً ليست ذات قيح أو جراحة وتميل إلى الاحمرار وتكون مصحوبة بحرارةٍ عالية، ومن أهم أسباب الإصابة به تعرض الشخص لخوفٍ مفاجئ، مقابلة مع السيد محمد غانم حمدون مصطفى السيد توحي، يوم السبت الموافق ٥/ ١١/ ٢٠١١.

(٤٤) ذكر المبحوث أن المعالِجين بالعزامة من عائلة السيد توحي موزعين في مدينة الموصل وبحسب مناطق سكناهم ولم يقتصر أمر العلاج كما يظن البعض على المعالِجين الموجودين في منطقة "المشاهدة أو راس الجادة" بل يوجد من أعمامهم وأخوالهم من يعالِج بالعزامة ومنهم مثلاً بيت السيد حمزة في منطقة السكر، وبيت السيد طه في منطقة ١٧ تموز، وبيت السيد حمودي في المنطقة القريبة من البورصة، مقابلة مع السيد محمد غانم حمدون مصطفى السيد توحي، يوم السبت الموافق ٥/ ١١/ ٢٠١١.

(٤٥) مقابلة مع السيد محمد غانم حمدون مصطفى السيد توحي، يوم السبت الموافق ٥/ ١١/ ٢٠١١.

(٤٦) لم يكن السيد رعد أبو أحمد متعاوناً مع الباحث فيما يخص مجال البحث، وكان متعصباً ومتوتراً من بعض التساؤلات، فهو لم يفصح عن مهنته الأصلية بصورة صحيحة ولم يعطِ اسمه بصورة كاملة ولم يُجِب عن بعض التساؤلات بصورة دقيقة، وعلى ما يبدو فإن السيد المبحوث تربطه علاقة غير جيدة بالمعالِج أبو عزت المعروف في مجال علاج الكسور والرضوض، فقد توقع الباحث أن السيد "رعد" يمت للسيد "أبو عزت" بصِلة قرابة أو صِلة عمل ولكن على ما يبدو أن هناك فيما بينهما صِلة قرابة "أبو عزت هو عم أبو أحمد بحسب شك الباحث بذلك، أو أنها صلة عمل تطورت إلى علاقة عائلية قوية فيما بين الطرفين" لكنها تخدشت وتدهورت بسبب العمل أو بسبب خلافات شخصية على المستوى العائلي والقرابي، وبقدر تعلق الأمر بموضوع بحثنا يشير السيد "رعد" إلى أن أول من عرف العلاج بالتجبير

في عائلته هو جده ثم انتقلت إلى أبيه ثم إلى السيد أبو عزت وتفرعت إلى أولادهما وهذه الطريقة العلاجية ليست حكراً على أبو عزت أو غيره وليست محصورة به بحسب إشارة المبحوث لذلك، إنما انتقلت إليه من عائلته واشتهر بها دون غيره لأسباب خاصة، مقابلة مع السيد رعد أبو أحمد، يوم الخميس الموافق ٣/ ١١/ ٢٠١١.

(٤٧) مقابلة مع السيد رعد أبو أحمد، يوم الخميس الموافق ٣/ ١١/ ٢٠١١.

(٤٨) لقد تأكد الباحث من وجود أحد أولاد السيد "أبو عزت" ويدعى "ماهر" ممن يعملون في مجال تجبير الكسور في منطقة باب لكش، ولكنه لم يتسنَ له مقابلته لعدم تواجد السيد "ماهر" في مرات عديدة لذلك فقد ارتأى الباحث إجراء المقابلة مع أحد أقاربه وهو السيد "رعد" المعالِج في نفس المجال.

(٤٩) عرق النسا: يقول ابن منظور في لسان العرب: "النسا بالفتح مقصور بوزن العصا عرق من الورك إلى الكعب"، ويقول الأصمعي: النسا عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الخاصرة، والعرب لا يقولون عرق الأكحل ولا عرق الأبجل إنما هو النسا والأكحل الأبجل (ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، بيروت، بدون تاريخ، ص٣٢٤، نقلاً عن عبد العزيز إلياس سلطان، العلاج بالكي في الطب الشعبي الموصلي-عرق النسا نموذجاً، مجلة إضاءات موصلية، العدد السادس والأربعون، طباعة وحدة الحاسبة في مركز دراسات الموصل، العراق، نيسان، ٢٠١١، ص٤)، والعصب النسئ هو أثخن عصب في جسم الإنسان بأكمله ويبلغ غلظه غلظ إصبع البنصر وهو يمد ظهر الساق وباطنها وعضلتها والقدم بالغذاء الذي يحتاج إليه وتوصل الألياف الشعور من جلد ظهر الرجل والقدم إلى هذا العصب ويتوزع هذا العصب بشكل كبير جداً وينفصل عند مفصل الركبة إلى قسمين: العصبان المأبضان الخارجي والداخلي، يقع العصب الخارجي على مقربة من سطح الجزء الأسفل من ظهر مفصل الركبة، ويمكن وضع اليد عليه ومسكه باليد وخاصة عند النحفاء، والالتهاب الذي يصيب غلاف العصب النسئ يسمى عرق النسا (الانترنت، إدارة منتديات نور القدس، علاج عرق النسا، صفحة الصحة تاج على رؤوس الأصحاء، سوريا، ٣٠/ ٤/ ٢٠١١).

(٥٠) يذكر المبحوث أن هذا العمل العلاجي يمتد لأكثر من مائتي سنة تقريباً، إذ أنها تمتد إلى الجد السادس للعائلة، مقابلة مع السيد فتحي أحمد شيبان إبراهيم خليل الساري، يوم السبت الموافق ٥/ ١١/ ٢٠١١.

(٥١) الشري: مرض بسيط يصيب الإنسان في جسمه، ويسبب احمراراً في الجلد على أثر وجود حبوب حمراء في الجسم "شبيهة بحالة الحساسية" من أعراضه الحكة المتواصلة، يشعر المصاب بها بهيجانٍ متواصل مما يدفعه لحكها إلى أن يسيل الدم منها، مقابلة مع السيد فتحي أحمد شيبان إبراهيم خليل الساري، يوم السبت الموافق ٥/ ١١/ ٢٠١١.

(٥٢) طريقة علاج "أبو صفار": يُنصح المصاب بهذه الحالة المرضية بالاستحمام جيداً لفتح المسامات الجلدية، ثم تُدلك منطقة خلف الأذن بالنسبة للمصاب أي: الوريد الموجود خلف الأذن، ثم يقوم المعالِج بتشريطها لخروج المادة الصفراء ثم تُدلك ثانية بالبصل ثم يوضع عليها مادة الدِباغ "قشور الرمان"، مع نصح المريض بـ"البهريز" أي: عدم أكل النشويات والدهنيات والحلويات والبقوليات والتوابل، بل ينصح بتناول الحلويات بكثرة واللحوم الناشفة والحليب واللبن وما شابه ذلك من مواد، مقابلة مع السيد حسان عبد الجبار محمود عويد الطائي، يوم الخميس الموافق ٣/ ١١/ ٢٠١١.

(٥٣) مقابلة مع السيد حسان عبد الجبار محمود عويد الطائي، يوم السبت الموافق ٥/ ١١/ ٢٠١١.

(٥٤) يوضح السيد "عبد العزيز" كيفية العلاج بالاكتواء بعد معرفة مسببات الحالة المرضية "عرق النسا" وأعراضها ونوع الحالة المرضية ومن هم الأشخاص الذين يرتادون هذا النوع من العلاج في بحث وكما هو موضح في المصدر (عبد العزيز إلياس سلطان، العلاج بالكي في الطب الشعبي الموصلي-عرق النسا نموذجاً، مجلة إضاءات موصلية، العدد٤٦، طباعة وحدة الحاسبة في مركز دراسات الموصل، العراق، نيسان، ٢٠١١)، مقابلة مع السيد عبد العزيز إلياس سلطان الخاتوني ، يوم الأربعاء الموافق ٢٣/ ١١/ ٢٠١١.

(٥٥) رواه البخاري، رقم الحديث ٥٣٥٧، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، موسوعة الحديث النبوي الشريف (الصحاح والسنن والمسانيد)-الإصدار الثاني، انتاج موقع روح الإسلام، الانترنت.

(٥٦) يذكر السيد "مُضَر" أن والده كان مديراً لمدرسة احليلة ومدرسة ثري من قرى شمر سابقاً، وكان يعالِج الناس في هذه القرى بالأعشاب والعسل وكان له صيتٌ واسع في هذا المجال عند بني عجيل وبني الحروش من قبائل شمر كذلك، ونتائج علاجه للناس كانت جيدة جداً بإذن الله تعالى، و"مُضَر" كان حينها في الصف الثالث الابتدائي وكان يرافق والده عند طلب أهالي القرية له لعلاج أي حالة مرضية، معتمداً بذلك على تكرار الطريقة العلاجية التي أفرزتها التجارب الناجحة، فضلاً عن الوصفات العلاجية المستقاة من كتاب (التداوي بالأعشاب) لأمين رويحة، و(موسوعة طب الشرقيين) المترجمة إلى اللغة العربية والمكونة من (١٦٠٠) صفحة، ثم يذكر المبحوث أنه بعد اتقانه تعلم العمل العلاجي في هذا المجال قام بتطوير عمله مكانياً إلى محل خاص بالأعشاب الطبية العلاجية في مدينة الموصل وتحديداً في باب السراي، مقابلة مع السيد مُضَر نافع عبد الله، يوم الاثنين الموافق ٢٨/ ١١/ ٢٠١١.

(٥٧) مقابلة مع السيد مُضَر نافع عبد الله، يوم الاثنين الموافق ٢٨/ ١١/ ٢٠١١.

(٥٨) لا بد من الإشارة إلى أن هذه الحالة الفردية الثامنة قد لا تكون من ضمن الطرائق العلاجية المتوارثة إذ أنها لا تمتد إلى عمقٍ زمني بعيد بل أنها وليدة قبل عشرين سنة من الآن ولكن لوجودها كطريقة علاجية في المجتمع ولأن الناس في إقبالٍ متزايدٍ إليها ولعدم عثور الباحث على من يعالِج بهذه الطريقة ممن يمتدون إلى فتراتٍ زمنيةٍ بعيدة أي: متوارثين لهذه الطريقة العلاجية أباً عن جد، فقد ارتأى الباحث التركيز على أقدم من عالجوا في هذا المجال واختار حالة واحدة من المعالِجين بالحِجامة من مجتمع مدينة الموصل،

(٥٩) رواه ابن ماجة، رقم الحديث ٣٤٧٦، سنن ابن ماجة، كتاب الطب، باب الحِجامة، مصدر سابق، الانترنت.

(٦٠) مقابلة مع السيد بسام يحيى نايف في يوم الثلاثاء الموافق ١/ ١١/ ٢٠١١.

(٦١) سعر الكأس الواحد للحِجامة هو (٢٥٠٠) دينار بحسب إشارة المبحوث لذلك، مقابلة مع السيد بسام يحيى نايف في يوم الثلاثاء الموافق ١/ ١١/ ٢٠١١.

(٦٢) رواه ابن ماجة، رقم الحديث ٣٤٨٨، سنن ابن ماجة، كتاب الطب، باب في أي الأيام يُحتَجَم، مصدر سابق، الانترنت.

(٦٣) رواه أبو داؤود، رقم الحديث ٣٨٦١، سنن أبو داؤود، كتاب الطب، باب متى تستحب الحِجامة، المصدر نفسه، الانترنت.